والأرض، والروح والجسد. فالحرفية الحلولية ثمرة القضاء على الثنائية والتجاوز، وثمرة اختزال المساحة التي تفصل بين الخالق والمخلوق، وبين الإنسان والطبيعة، وبين الدال والمدلول . . بحيث يُختزَل الواقع إلى مستوى واحد، فلا يشير إلى أي عالم آخر أو أية منظومة أخرى، وبحيث تصبح رؤية الواقع، في نهاية الأمر، واحدية لا تختلف كثيراً في بِنْيتها عن التفسيرات المادية التي تنكر الثنائية والتجاوز.

وَحْدة الوجود الروحية ووَحْدة الوجود المادية:

حينما يحلُّ الخالق في مخلوقاته فإنه يتوحد معها ويذوب فيها بحيث لا يصير له وجود دونها، ولا يصير لها وجود دونه، ويصبح العالم جوهراً واحداً. ومع هذا يُطلق على مركز الكون الكامن فيه والمبدأ الواحد المنظم له اصطلاح «الإله». وهذه هي وحدة الوجود الروحية. ثم يتم الاستغناء تماماً عن أية لغة روحية أو مثالية، ويُسمَّى المبدأ الواحد «قوانين الطبيعة» أو «القوانين العلمية» أو «القوانين المادية» أو «قانون الحركة».

ورغم الاختلاف الظاهر بين وحدة الوجود الروحية ووحدة الوجود المادية فإن بنيتهما واحدة. فهما يتسمان بالواحدية، وبمحو الثنائيات والمسافات والمقدرة على التجاوز؛ لأنهما يمحوان المسافة التي تفصل الخالق عن المخلوق، ومن ثمَّ المسافة بين الإنسان والطبيعة. ولذا، ففي إطار الحلولية الكمونية، يمكن رَدُّ كل الظواهر، مهما بلغ تنوعها وعدم تجانسها وتركيبيتها، إلى مبدأ واحد (لوجوس) كامن (حالٌّ) في العالم، ويتم تسوية الإنسان بالكائنات الطبيعية. ولنلاحظ هنا التقابل بين وحدة الوجود المادية والرؤية الطبيعية المادية، فكلاهما ينكر المسافة بين الطبيعة والإنسان، ويقوم بتسوية الواحد بالآخر، فتُمحى ثنائية الإنسان والطبيعة، ويصبح العالم واحدياً مادياً. وبهذا المعنى يمكن القول بأن الحلولية هي عكس التوحيد، الذي يُدرك به الإنسان الخالق باعتباره إلهَ العالمين، الواحدَ، المتجاوزَ لعالم الطبيعة والتاريخ.